



### يو ساساكي\*: مراجعة لكتاب ليونارد دادلي\*: تفرد الابتكار الغربي: رابطة اللغة ترجمة: مصباح كمال\*\*\*

يسعى ليونارد دادلي، جامعة مونتريال، في كتابه تفرد الابتكار الغربي، إلى تحديد السبب وراء "الابتكار الغربي"، وهو المصطلح الذي يشمل الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر والثورة العسكرية في القرن العشرين. فهو يجادل بأن توحيد اللغة language standardization كان أكثر تقدماً في أوروبا الغربية قبل عام 1800 من الإمبراطوريات الشرقية المعاصرة لها في تركيا والهند والصين. وأن النضج الثقافي المبكر لأوروبا الثقافية أدى في النهاية إلى اختراعات رئيسية في العصر الحديث، بما في ذلك المحرك البخاري والتلغراف والكهرباء والغواصات. وبالنظر إلى أن هذه الاختراعات قد ظهرت في دول غربية مختارة، وهي بريطانيا وفرنسا، والولايات المتحدة باعتبارها فرعاً بريطانياً، فإن السؤال الجوهرى الذي يبحث فيه الكتاب هو: ما الذي مكّن هذه الدول من قيادة الابتكار؟ إن معالجة هذا اللغز أمر مهم للتاريخ الاقتصادي، لأنه يساعد على فهم لماذا "انطلقت" أوروبا الغربية اقتصادياً أولاً وليس مناطق أخرى في العالم.

يعرض دادلي دراسته لهذا السؤال في أربعة عشر فصلاً، موزعة في ثلاثة أقسام. وفي كل فصل يحدد بوضوح أطروحة معينة ويناقشها بطريقة تخطيطية: ففي كل موضوع، تأتي التجربة الأوروبية (ومعظمها إنجليزية) أولاً كحالة مرجعية، تليها المقارنة الوجيهة للحالات العثمانية والهندية والصينية.



## أوراق في التاريخ الاقتصادي

بعد الفصل التمهيدي، يتتبع القسم الأول المدى الذي تطورت فيه اللغات الدارجة [اللغة المشتركة لرقعة جغرافية معينة] vernaculars في كل مجتمع في الفصول من 2 إلى 5. وفي الفصل الثاني يضع الأساس الذي يقوم عليه تطور اللغة من خلال دراسة دورة السلالات الحاكمة dynastic cycle في القرن السابع عشر. ويشير الكاتب في هذا الفصل إلى أنه في حين استمرت الإمبراطوريات الشرقية تعاني من دورة السلالات الحاكمة - نمط صعود وسقوط الإمبراطوريات من خلال عدم الاستقرار المالي، والتمرد الداخلي أو الهجوم الخارجي، واستبدال النظام - توقفت هذه الدورة في إنجلترا مع ازدياد قوة البرلمان مقارنة بقوة الملك. وقد أنتج هذا التحول في النهاية الاستقرار لإنجلترا ليس فقط في مجال المال، ولكن أيضاً في الحياة اليومية بين المواطنين العاديين، مما أعطى قوة دافعة للثقة والتعاون في القرون اللاحقة.

يناقش الفصل 3 اعتماد تقنية الطباعة. أصبحت حروف الطباعة المعدني المتحركة في أوروبا، الذي اخترعه يوهانس غوتنبرغ حوالي 1450، الأداة القياسية في الطباعة حتى القرن العشرين. كانت للإمبراطوريات غير الأوروبية خبرة متميزة في الطباعة. وعلى الرغم من أن اليهود جلبوا مطابع غوتنبرغ إلى المناطق العثمانية في نهاية القرن الخامس عشر، فقد حظرت اسطنبول الطباعة الخاصة باللغة التركية أو العربية حتى عام 1726 (كانت الطباعة الخاصة بلغات أخرى مسموح بها). كان المبرر الرئيسي للحظر هو أن العثمانيين اعتمدوا على الاتصالات الشفوية من قبل الزعماء الدينيين لبحث السلطة السياسية والحفاظ عليها. فالمطابع المطبوعة تترك سجلات مكتوبة وقد يستفيد الخصوم السياسيون من أي تناقض بين تلك السجلات والنقل الشفهي لتحدي السلطة.

في الهند، كان الغربيون هم الذين قادوا تطوير الطباعة باللغة الدارجة لفهم اللغات المحلية (ومساعدة الأعمال التجارية للشركات مثل شركة الهند الشرقية). يبدو أن المغول Mughals كانوا يفضلون المواد المكتوبة بخط



## أوراق في التاريخ الاقتصادي

اليد على الأشكال المطبوعة، و فقط في أواخر القرن الثامن عشر، بدأت الطباعة باللغة الدارجة بمبادرة من رجل إنجليزي. وكانت الصين هي مسقط رأس حروف الطباعة المتحركة في القرن الحادي عشر، لكن طباعة الخشب، وهو شكل يتطلب كثافة أكبر من العمالة، أصبح الشكل المعياري حتى أواخر القرن التاسع عشر.

ويصف الفصل الرابع معدلات معرفة القراءة والكتابة في القرن السابع عشر، ويعود اختلاف هذه المعدلات بين الحالات [حالات الدول المقارنة] جزئياً إلى توافر المطابع وحجم سوق الكتاب.

يجادل دادلي في الفصل 5 بأن العامل الآخر الذي أثر على معرفة القراءة والكتابة هو المدى الذي تم فيه توحيد standardized اللغة الدارجة للمجتمع قبل التصنيع. ويستخدم تاريخ نشر أول قاموس أحادي اللغة monolingual dictionary لقياس توحيد اللغة. وفقاً لهذا التعريف، تم تدوين الإنجليزية عام 1658 والفرنسية بحلول 1680. ولم توحيد اللغة الهندية، والتركية، والماندرين الصينية إلا في القرن العشرين (في 1929، 1932، و 1937 على التوالي). لقد لعب الفرق في توقيت التوحيد دوراً حاسماً، ذلك لأن اللغة الموحدة تقلل من تكاليف المعاملات وتسهل التعاون في عصر التحضر والتشغيل الآلي [الأتمتة] والإنتاج الضخم.

يناقش بقية الكتاب نتائج ترشيد اللغة ما قبل الحداثة بالنسبة للابتكارات في مجال التكنولوجيا الصناعية والعسكرية، واستخلاص أمثلة من الغرب.

ويصف الجزء 2 التصنيع. فبعد نظرة عامة على قدرة كل دولة على زيادة الإيرادات بشكل موثوق (الفصل 6)، يكرس المؤلف الفصول التالية لدراسة المحركات البخارية (الفصل 7)، وآلات تصنيع المكين machine tools (الفصل 8)، والبنادق (الفصل 9).



## أوراق في التاريخ الاقتصادي

يركز الجزء الثالث على الأبعاد العسكرية: الفصل العاشر يتخطى الجغرافيا السياسية في مطلع القرن التاسع عشر. والفصل 11 يناقش السفن البخارية. والفصل 12، يناقش الصراعات الكبرى بين القوى الأوروبية والآسيوية. والفصل 13، يناقش قوة أوروبا الساحقة من الأسلحة النارية كالبنادق على أسلحة المنافسين الآسيويين. يقارن الفصل الختامي النموذج التقليدي للمنافسة الجيوسياسية لصعود أوروبا مع فرضية اللغة موضوع الدراسة في الكتاب.

إن أحد الإسهامات المهمة التي يقدمها كتاب دادلي هو نظريته إلى أن توحيد اللغة لا يمثل أبداً نتيجة "طبيعية". أحد الأسباب، كما أظن، هو أنه من الصعب تخيل كيف أن الاستخدام الموحد للغة يمكن أن يكون له تأثير مباشر وإيجابي على النتيجة المرجوة للفاعلين السياسيين والاقتصاديين - سواء أكان ذلك عائداً أكبر أم مزيداً من التجارة. وتوضح هذه الدراسة أن قلة من قادة ما قبل الحداثة، إن وجدوا، كانوا يعطون الأولوية للاستثمار في توحيد اللغة، كما هو واضح في حالة الإمبراطورية المغولية Mughal Empire. كما كان هناك أيضاً اختلاف كبير في هذا الحافز داخل أوروبا، لأن بلداناً مثل إسبانيا وهولندا وألمانيا وإيطاليا لم تجر بسرعة وراء مثالي بريطانيا وفرنسا.

بالنظر إلى التكاليف الثابتة العالية المطلوبة لتوحيد اللغة الدارجة، ينهض السؤال: ما هو الحافز لتوحيد اللغة؟ إن هذا السؤال لا يحظى بالاهتمام الكافي في هذا الكتاب. ويمكن للبحث المستقبلي أن يتناوله لتوفير إطار مفاهيمي أكثر شمولاً، وإجراء اختبار تجريبي لدور الثقافة في فهم عملية التنمية الاقتصادية.

إن دادلي محق في التأكيد على أهمية النظر في الأبعاد الثقافية عندما يسعى المرء إلى دراسة أسئلة كبرى مثل "لماذا أوروبا - أو إقليم معين منها - أخذت بالتصنيع أولاً؟" وهنا تشير "الثقافة" إلى مصطلح واسع يلتقط أنماطاً للسلوك فيما يتعلق باختيارات الجهات الفاعلة للتكنولوجيا، والقواعد



## شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK  
www.iraqieconomists.net

### أوراق في التاريخ الاقتصادي

المقننة، والسياسات، التي تجد الحجج المؤسسية التقليدية صعوبة في تفسيرها. على سبيل المثال، اعتمد الصينيون على الطباعة الخشبية (تكنولوجيا كثيفة العمالة) على الرغم من وجود تقنية من طراز أرفع، وهي الطبع بالحروف المتحركة (تكنولوجيا كثيفة رأس المال). لقد كان اختيارهم يعتمد جزئياً على تفضيلهم المشترك للعمالة الرخيصة والمستهلكة للوقت بدلاً من تكنولوجيا فعّالة ومكلفة. إن الدراسات المستقبلية يمكن أن تعتمد على رؤية داللي لإلقاء مزيد من الضوء على أصول التصنيع الأوروبي.

Published by EH.Net (May 2018)

Copyright (c) 2018 by EH.Net. All rights reserved.

\*ليونارد دادلي، أستاذ شرف، قسم الاقتصاد، جامعة مونتريال، كندا.

Leonard Dudley, *The Singularity of Western Innovation: The Language Nexus*. New York: Palgrave MacMillan, 2017. vii + 316 pp. \$170 (hardcover), ISBN: 978-1-137-40317-9.

يتحدث باللغات الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والألمانية والقليل من العربية. نشر العديد من الكتب ومنها:

(2012) *Mothers of Innovation: How Expanding Social Networks Gave Birth to the Industrial Revolution*, Cambridge Scholars Publishing, Newcastle upon Tyne, UK.

(2008) *Information Revolutions in the History of the West*, Edward Elgar, Cheltenham, UK.

(1991) *The Word and the Sword: How Techniques of Information and Violence Have Shaped Our World*, Blackwell, Cambridge, Mass.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK  
www.iraqieconomists.net

## أوراق في التاريخ الاقتصادي

\*\*يو ساساكي، أستاذ مساعد في معهد واسيدا للدراسات المتقدمة في جامعة واسيدا، طوكيو.

Reviewed for EH.Net by Yu Sasaki, Waseda Institute of Advanced Study, Waseda University.

أحدث دراسة له نشر بعنوان "الأمم الناشرة: اكتساب التكنولوجيا وتوحيد اللغة للمجموعات العرقية الأوروبية"، مجلة التاريخ الاقتصادي، كانون الأول/ديسمبر 2017.

يعمل حالياً على دراسة كيفية تأثير التوحيد الثقافي داخل الدول على التنمية السياسية والاقتصادية على مستوى الدولة، اعتماداً على تجربة أوروبا الحديثة في بدايتها.

\*\*\* كاتب في قضايا التأمين

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر.

<http://iraqieconomists.net/ar/>